

تفسير البغوي

سورة الممتحنة .

١ - { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم وعدوكم أولياء } الآية .

أخبرنا عبد الواحد المليحي حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبد الله بن أبي رافع يقول سمعت عليا عليه السلام يقول : [بعثني رسول الله أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ) فإن بها طعينة عها كتاب فخذوه منها قال : فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتيانا الروضة فإذا نحن بالطعينة فقلنا : أخرج الكتاب فقالت : ما معك كتاب فقلنا : لتخرون الكتاب أو لتلقين الثياب قال : فأخرجته من عقاصها فأتيانا به رسول الله فإذا فيه من حاطب بن أبي بلترة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتبه ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل علي إنني كنت امرأ ملصقا في قريش - يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت - إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخاذ عندهم يدا يحمون قرافيتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أضرب عنق هذا المتفاق فقال : إنه قد صدقكم فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المتفاق غرفت لكم فأنزل الله تعالى هذه السورة : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمؤدة } إلى قوله : { سواء السبيل } .

قال المفسرون : نزلت الآية في حاطب بن أبي بلترة كما جاء في الحديث وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أنت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمة جئت ؟ قالت : لا قال أمهاجرة جئت ؟ قالت : لا قال : بما جاء بك قالت : كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونني وتكسواني وتحملوني فقال لها : وأين أنت من شبان مكة ؟ وكانت مغنية نائحة قالت : ما طلب مني شيء / بعد وقعة بدر فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاهما حاطب بن أبي بلترة حليفبني أسد بن عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة وأعطها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب : من حاطب بن أبي بلترة إلى أهل مكة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم . فخرجت سارة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارا والزبير

وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرشد فرسانا فقال لهم : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلترة إلى المشركين فخذوا منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها .

قال : فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله A فقالوا لها : أين الكتاب ؟ فحلفت بـ ما معها كتاب فبحثوها وفتشوا متابعاً لها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع فقال علي بن أبي طالب : وما كذبنا ولا كذب رسول الله A وسل سيفه فقال : أخرجي الكتاب وإلا لأجرد نك ولأضربن عنقك فلما رأى ذلك أخرجته من ذئبها قد خابت في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله A .

فأرسل رسول الله A إلى حاطب فأتاه فقال : هل تعرف الكتاب ؟ قال : نعم قال : فما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله A وما كفرت منذ أسلمت ولا غشستك منذ نصحتك ولا أحببتم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكانت غريبة فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغنى عنهم شيئاً فصدقه رسول الله A وعذرهم .

فقام عمر بن الخطاب فقال : دعني يا رسول الله A أضرب عنق هذا المنافق .

فقال رسول الله A : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ فأنزل الله D في شأن حاطب : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم أولياء } .

{ تلقون إليهم بالمودة } قيل : أي المودة والباء زائدة كقوله : { ومن يرد فيه بالحاد بظلم } (الحج - 25) وقال الزجاج : معناه تلقون إليهم أخبار النبي A وسره بالمودة التي بينكم وبينهم { وقد كفروا } الواو للحال أي : حالهم أنهم كفروا { بما جاءكم من الحق } يعني القرآن { يخرجون الرسول وإياكم } من مكة { أن تؤمنوا } أي لأن آمنتم كأنه قال : يفعلون ذلك لإيمانكم { بما ربكم إن كنتم خرجتم } هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله : { لا تتخذوا عدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بما ربكم إن كنتم خرجتم } { جهاداً في سبيل وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة } قال مقاتل : بالنصيحة { وأنا أعلم بما أخفيت } من المودة للكفار { وما أعلنتكم } أظهرتم بأسنتكم { ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل } أخطأ طريق الهدى